

معضلة ميليشيات إيران في العراق



على عقود طويلة مضت. والأصل في هذه المناقشات لم يكن ذا صلة بفروق في الاجتهاد، وإنما بفرض الهيمنة على أموال "الخمس". أي أنها كانت من الأساس، منافسات فساد.

وهناك مرجعيات دينية في العراق تلتمح في إطار ما يسمى بـ"الحوزة العلمية" ومقرها النجف. هذه "الحوزة" ليست حوزة فقه طائفي فقط. إنها "حوزة مال" أيضا. ويستطيع المرء أن يلاحظ أن الروزخونيات والبيكائيات وأعمال التفقه في النوازل والتوافه، وأعمال التزوير في التاريخ، تمارس كغطاء سميك لتجارة الاختلاف الطائفي، إلا أنها تمارس للكسب المادي بالدرجة الأساس. فلا تحسب أن العمامة السوداء أو الخضراء هي عمامة زهد بالحياة الدنيا ومالها. انظر تحتها وسترى عجا عجاب. بما يشمل كل شيء، بما فيها أقدار الموبقات. الميليشيات التابعة لإيران ورثت هذا "الفقه". فتصارت بما كان الحوزيون يتصارعون عليه. وكل ما فعلته هو أنها نقلت أفعالهم إلى الشارع. وبدلا من أن تجري المناقشات خلف أبواب مغلقة على حصص تنأى بنفسها عن عين السلطة، فقد نقلتها الميليشيات إلى السلطة، لتكون هي نفسها جزءا من عالم المنهوبات.

يحدث في هذا الواقع المر، أن تقفز بقضة الضمير لتتهز الأركان. رجال دين، لحقهم الحرمان، وغالبية عظمى وجدت نفسها في قلب الخراب، كان لا بد في النهاية أن تجد سبيلا للتخاطب على خيارات أخرى ومصير آخر. "الجماعة" حتى وإن ظلت على تماسكها بقرار من طهران، لكي تضمن من خلالها استمرار قدرة غلمانها على إدامة النهب، إلا أن "الجماعة" ترى ما تخسره حبال أحدها الآخر وحبال بقضة الضمير. بعضهم حاول أن يركب موجة تلك البقضة لكي ينهبها، إلا أن هذا البعض يعرف أن هذه الموجة باتت أكبر من أن يركبها أحد بخبثه وبقائه. "التشريينون"، على سبيل المثال، يعرفون نفاقيات مقتدى الصدر، ولكنهم سمحوا له بالمشاركة في تظاهراتهم. هم

علي الصراف
كاتب عراقي

العراق بلد صعب حتى على أهله. فكيف لا يكون صعبا على إيران؟ صحيح أنها استعانت عليه بأحزاب "تبعية"، وميليشيات "ولاء"، وكان يفترض بهؤلاء أنهم يعرفون بلدهم وتعقيداته، إلا أنهم انشغلوا عن الفهم بالنهب، وعن الحكمة بأعمال النصب، وعن إدامة السلطة لأنفسهم بتخريبها. إيران الصفوية، فعلت الشيء نفسه قبل نحو 500 عام. استعانت بما كان يسميه الشاه إسماعيل الصفوي، بـ"الغلمان" لكي يسحقوا بغداد ويجعلوا أهلها أذلاء حتى صاروا يأكلون جثث الكلاب. إلا أن إيران هُزمت في النهاية. هُزمها الغلمان بما فعلوا. من ناحية، لأنهم من سقط سقط المتاع، كما يستطيع المرء أن يراه نسخة طبق الأصل الآن. ومن ناحية أخرى، لأن أفعال الجريمة لا تديم سلطة ولا نفوذا لأحد.

والمشكلة في الفساد هي أنه لا يستطيع أن يُفسد كل الناس. وحتى ولو تحول الفساد إلى نظام لتعميم نقائص الشرف، فإنه يظل قائما على "حرامية كبار" وحرامية يلحقهم الحرمان. أحد أكبر الدلائل هو أن أكثر من تريليون دولار من عائدات النفط أفضت إلى شعب ينقصه كل شيء، ويعمه الفقر والجوع والبطالة ومشاعر الغضب.

ولا شيء خافيا على أحد. الكل يعرف الكل في العراق. والعباب "التقية" والنفاق والأكاذيب والخداع لم تعد تنطلي على ضحاياها، من قاع المجتمع إلى أعلاه.

لا يستطيع المرء أن يزعم أن إيران لم تستد من غلمانها، فقد نهبوا لصالحها الكثير. حتى أن نظامها الخاضع للحصار، أفلت من الأضرار بما قامت "الجماعة" بتوفيره له من عائدات النهب. أما "الجماعة"، فإنها، جماعات تتنافس في ما بينها على شيئين: رضا وليها الفقيه، وحصتها من أعمال النهب. وهناك بينها منافسات عائلية، تمتد

بل أبعد من كل ذلك أيضا. فالحضارة السومرية لم تعرف عدوا أسبق من عصابات النهب والسلب التي كانت تأتيهم من الشرق، حتى اقتضى أن يكون العراق هو حارس الجدار الشرقي للامة العربية بعد خمسة آلاف عام. قصة الصراع بين العراق وإيران، جزء من الهندسة الوراثية للجينات. حتى أصبح من أول الوطنية في العراق، أن تكون مناهضا لسلطة إيران (إمبراطورية، أو شاهنشاهية، أو جمهورية عصابات) ولكل ما تفعله، ولكل من ترسله، ولكل من تستعين به، حتى ولو كان إماما، فكيف إذا اتضح أنه حرامي وابن حرام؟

أحد أهم أوجه البساطة فيه، هو أن إيران آخر من يحق له أن يستولي على مقدرات العراق. هناك إرث أبعد من إرث غلمان إسماعيل شاه. أبعد حتى من معركة القادسية. أبعد من الإسلام نفسه. تجده في القرآن الكريم في تلك السورة التي قالت: "غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون". والروم كانوا قد غلبوا، قبل أن يعودوا ليغلبوا بعد 9 سنوات. والمؤمنون، من يومئذ ما زالوا يفرحون بهزيمة الفرس. هذا رب العالمين. لا أنا ولا أنت، فمادام بوسعك أن تفعل؟

إلى دائرة مغلقة، لا تني تضيف خرابا على الخراب، وفشلا فوق الفشل، ونقمة مضادة فوق النقمة القائمة أصلا. الوطنية الناهضة، هي ما يبدو الآن ملاذا للخلاص. إنها قفزة من المركب الغارق، ومحاولة للانقاذ بركب الحاجة إلى التغيير. وهي على أي حال، الإطراب الوحيد الذي يمكنه أن يجمع العراقيين على أنفسهم. هذه الوطنية هي الركن الذي لم يهتز على امتداد تاريخ العراق المعاصر. اختلف فيه الكثيرون، إلا أنه الركن الذي ظل قادرا على جمعهم. وهو ركن ذو أسس ومعايير لا تخطفها المشاعر ولا الأناظر، ولا تتطلب الكثير من التفلسف. إنه ركن بسيط بساطة الناس أنفسهم.

بما يطلبون، وهو وجماعته بما يتناقفون عليه. حتى فاض به الكليل، فأخرج السكاكين ورفع الهراوات عندما رأى أنها كبرت عليه، وكبرت على منافقاته. جانب من بقضة الضمير صار يشق الغلمان بعضهم عن بعض، حتى ولو أن نداء الوحدة يظل هو ما يتردد في النفوس، خوفا من نهاية تجربتهم كما تجرّف البلدوزرات اكوام القمامة، من دون أن تفرق صالحا عن طالح، إذ لا صالح في ما تركوه من إرث الخراب. وهم يعرفون ذلك، ويجتمعون على خبثية، وإيران نفسها تهددهم به، أو تحذرهم منه. إلا أن جانبنا آخر من بقضة الضمير صار يقظة بحث عن الخلاص. إذ قادت أحزاب التبعية وميليشيات الولاء البلاد

دعوة ملغومة لاستقبال لاجئين أفغان في مصر

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدباني
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيوقوي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

والدول الكبرى سخية بهؤلاء وغيرهم يحاولون مصر إلى بلد مستقبل للمهاجرين، وطارد للمواطنين فهناك الكثير من المصريين الذين يريدون الهجرة.

توحي الدعوة - الاقتراح في المحمل إلى ارتفاع مستوى الأمن والاستقرار في مصر، وعمق التحولات التي مرت بها في الأعوام الأخيرة بعد أن تخلصت من حكم الإخوان وقوضت وجود المتطرفين، وهي رسالة إيجابية يمكن تمييزها، لكنها غير كافية لتبرير أهلية متوقعة وبالتالي سيكولوجيا من المحملين بإرث وأعباء قاتمة وهم على بعد الآلاف من الكيلومترات.

يؤدي اشتباك سياسي من هذا النوع إلى الزج بالقاهرة في مواجهة غير راغبة فيها، فقد اعتادت ترحية أوضاع اللاجئين على أراضيها من معادلة المعارضة المتكررة التي تنتشط في الخارج ولم تضبط على الأقل في العقد الأخير بانها تستقبل لاجئين لأغراض تمكنها من الاستفادة منهم ضد بلدانهم الأصلية.

يبدو الوضع بالنسبة إلى الأفغان مثيرا، فلا توجد قواسم مشتركة ثقافية أو اجتماعية مع مصر، ولذلك يمكن أن يصب في منحى انتقامي من طالبان والمتحالفين معها ويُفهم على أنه رد على وجود العديدين المصريين في أفغانستان عاشوا وتربوا وبنوا من العناصر الرئيسية في الجماعات الجهادية، بعضهم عاد إلى مصر ومنهم من ينتظر.

لذلك لن يجد اقتراح ساويرس أذانا صاغية، وربما يتم التعامل معه في إطار العصف الذهني الذي اعتاده الرجل وغرامه بطرح تساؤلات مرحة ومعرفة توجهات الرأي العام في قضايا ذات حساسية مفرطة، حيث تصلح هذه الدعوات المفخخة في التعرف على مزاج الرأي العام الذي يؤثر على خيارات الحكومة في بعض الأحيان، لأن مصير الأفغان وطالبان هو سؤال الساعة في العالم حاليا.

تفريغ الدولة منهم وتهئية المجال أمام طالبان للسيطرة على الأوضاع بأريحية، وفي النهاية تنطوي على إقرار بالامر الواقع، فإذا استقبلت كل دولة عددا من الراضين لحكمها فمعناه تمكينها بسهولة من مفاصل الدولة.

دعوة رجل الأعمال تلتفت النظر إلى أن أفغانستان قد تعيد تكرار مواقفها السابقة والتعامل مع معارضتها بالقسوة اللازمة، ما يعني تفريغ الدولة منهم وتهئية المجال أمام طالبان للسيطرة على الأوضاع

الجزء الغاطس في الاقتراح أن استقبال مصر أو غيرها لاجئين هل المقصود به إنقاذهم من أخطبوط الحركة الذي يطوق أعناقهم أم تدريبهم ثم إعادتهم، فإذا كانت الإجابة للإنقاذ فهذا يحلنا مؤقتا، لأن هناك الملايين الذين لن يتمكنوا من الفرار، أما التدريب فهذه قصة لم تتورط فيها مصر من قبل مع الملايين من اللاجئين الذين استقبلتهم، وإذا صح هذا الاستنتاج سوف يقبل المعادلة من خانة العائدين من أفغانستان إلى العائدين إليها. يحمل استفتاء ساويرس الذي أجراه مع متابعيه إشارة ضمنية إلى أن مصر يمكنها استقبال مجموعات من الهاربين من جسيم الحروب في دول مختلفة، في وقت تضح بأزمة سكانية حادة، ولديها ما يكفي من اللاجئين العرب ما يضاعف مشكلاتها، لأن الأفغان لن يأتوا كسائحين أو مستثمرين في مستقرين، ومهما كانت مساعدات الأمم المتحدة

دولتهم سوف تجعل لاستقبالهم في هذه الأجواء مكونات سياسية بعيدة التأثير. قد يكون رجل الأعمال المصري قدم مقترحه بحسن نية وحاول جس نبض الدولة المصرية والمواطنين معا انطلاقا من وازع إنساني أكثر منه سياسي، وقد يكون أراد الاحتباك بجماعة الإخوان واستفادها لمعرفة موقفها، حيث أنهى دعوتهم بعدم رغبتهم في مشاركتهم لمقترحه (السؤال للجميع ما عدا إخوان مصر)، في إشارة تحمل استفزازا للرد عليه وليس العكس.

تتحمل مصر استقبال المزيد من أفواج اللاجئين من جنسيات عدة دون تخطيط مسبق أو ضمن رؤية سياسية معينة، وسعنتها في هذا المجال تؤهلها، لكن استقبال أفغان يفرض عليها حسابات دقيقة، لأن الاقتراح الافتراضي جاء ضمن حملة لاستقبال لاجئين لجهم من المعارضين لطالبان، ما يضيف عليهم حسابات سياسية أرادت القاهرة ذلك أم لم ترد.

تعد مصر من أكثر الدول اهتماما بما يجري في أفغانستان، وعانت كثيرا من ارتدادات سابقة في مجال مكافحة الإرهاب وما يسمى بالعائدين من أفغانستان، عندما استقبلت روافد من المتطرفين الذين قاتلوا مع جماعات جهادية عديدة ثم انخرط بعضهم في صفوف طالبان، ومثلوا تحديا للدولة المصرية.

ينطوي اقتراح ساويرس على رسالة ضمنية عميقة، فاستقبال أفغان رسميا يوحي بالتغير في مصر وأنه لن يتسرب إليها منطرون جدد، وعلى استعداد لاستضافة لاجئين معتدلين، وهو ما يضعها في مواجهة مبكرة مع طالبان التي تريد تقصص دور حركة تتسم بقدر من المرونة في العلاقات الخارجية، وعدم رغبتها في تصدير العنف.

تلقت دعوة رجل الأعمال النظر إلى أن أفغانستان قد تعيد تكرار مواقفها السابقة والتعامل مع معارضتها بالقسوة اللازمة، ما يعني

وتباينت الردود التي لامست جانبا من الهوم المصرية المتعلقة باستقبال الملايين من اللاجئين من دول عربية مختلفة في السنوات الماضية. لم تمثل استضافة اللاجئين العرب في مصر عبئا اجتماعيا في أي وقت، وغالبية هؤلاء انصهروا في المجتمع بلا مخيمات في الصحراء ويُعاملون مثل المواطنين في غالبية الأمور الحياتية، ووصلوا البلاد بطريقة عشوائية ولم يتم توظيفهم سياسيا، وهم يشكلون موزايك لا يفرق بين مؤيدين ومعارضين للأنظمة الحاكمة في الدول التي انحدروا منها أو الجماعات التي تتقاتل للوصول إلى السلطة فيها.

تشير المسألة بالنسبة إلى الأفغان إلى مشهد مختلف في معظم تفاصيله، لأن اللاجئين المنتظرين، حسب دعوة ساويرس، من هوية - هويات اجتماعية غير معتادة ومن المناهضين لحركة طالبان المتشددة. ربما تكون مصر استقبلت في عقود سابقة هجرات من دول أوروبية للاستقرار فيها لدوافع متباينة، وبحكم الثقافة "الكوزموبوليتانية" المتنوعة التي كانت سائدة في ذلك الوقت، إلا أن الأفغان يبدون جغرافيا والتطورات التي تمر بها

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

أعلنت بعض الدول عن استعدادها لاستقبال عدد من اللاجئين الأفغان لأسباب سياسية وإنسانية، وحثت قوى غربية على ذلك لدواع متباينة، بينها محاولة مداراة خبثيتها أو التخفيف من وقعها وترسيخ فويا طالبان وأفكارها المتطرفة بعد سيطرتها على الحكم. في هذا السياق، جاءت دعوة مثيرة للانتباه في مصر الجمعة، من قبل رجل الأعمال الشهير نجيب ساويرس، حيث كتب على صفحته الخاصة على تويتر التي يتابعها نحو 7.5 مليون شخص "اقتراح: هل يمكن أن نستضيف عددا من اللاجئين الأفغان الهاربين من حكم طالبان في مصر؟ السؤال للجميع، ما عدا إخوان مصر".

لم يمر الاقتراح بصورة عادية أو على سبيل الفانتازيا السياسية، لأن ساويرس درج على طرح بعض الأسئلة الصعبة والمسكوت عنها، ويتابعه الملايين على منصات التواصل الاجتماعي المختلفة ويتفاعل معهم ويتفاعلون معه بجدية.

